السياسة الأمنية والعسكرية ودورها في تحجيم الجماعات المتطرفة والحركات العقائدية المنحرفة العراق انموذجا

الفريق الركن حسن سلمان خليفة البيضاني*

هيئة الحشد الشعبي/ العراق

hammurabijornal@gmail.com

ملخص :

نحاول خلال استعراض نشوء وتطور الحركات المتطرفة والجماعات المنحرفة في العراق أن نصل الى نوع من الفهم لدوافع تلك الحركات ومبررات وجودها وتوسعها كما أن البحث في تفاصيل السياسات الأمنية وتحديد الأدوار والمهام ومراحل العمل في معالجة الإرهاب للمؤسسة الأمنية والعسكرية في معالجتها للحركات المتطرفة والهدامة يعطى القارئ تصورا اوليا عن مدى قرة تلك المؤسسة للقيام بمثل هذه المهمة التي تمثل المهمة الأكثر خطورة في الجوانب الأمنية والعسكرية . اما عن التحديات التي تعتري تنفيذ السياسات الأمنية والعسكرية واثرها على السلم والامن المجتمعي وسبل المعالجة فان الدراسة حاولت ان تربط بين ما لهذه السياسات من أدوار وما يفترض ان يكون مكملا لها من سياسات أخرى على الدولة بمؤسساتها المختلفة الاضطلاع بها.

كلمات مفتاحية : الجماعات المتطرفة، الحركات المنحرفة، السياسة العسكرية.

Security and Military Policy and Its Role in Curtailing Extremist Groups and Deviant Ideological Movements, Iraq as a Model

Lieutenant General Hassan Salman Khalifa Al-Baydani

Popular Mobilization Forces

ABSTRACT

By reviewing the emergence and development of extremist movements and deviant groups in Iraq, we are trying to reach a kind of understanding of the motives of these movements and the justifications for their existence and expansion. Also, researching the details of security policies and defining the roles, tasks and stages of work in dealing with terrorism for the security and military establishment in dealing with extremist and destructive movements gives the reader a preliminary perception about the extent of that institution to carry out such a task, which represents the most dangerous task in the security and military aspects. As for the challenges facing the implementation of security and military policies and their impact on peace and community security and ways of treatment, the study tried to link the roles of these policies and what is supposed to be complementary to them from other policies that the state and its various institutions should undertake.

KEYWORDS: extremist groups, deviant movements, military policy.

المقدمة

لم تخلّ فترة من فترات التاريخ لمختلف شعوب الأرض من أقصاها الى أقصاها دون ظهور حركات او جماعات تخرج عن المألوف لتشكل ظاهرة ليست منسجمة مع المسار الطبيعي لمجتمعات تلك الشعوب، وتاريخنا العربي الإسلامي الزاخر بتلك الحركات والجماعات وقد يكون للخوارج والحشاشين والقرامطة الحضور الأكبر والاوسع تاريخيا الا ان ما ورد في المراجع المعتمدة يثبت بان المئات من تلك الحركات كانت قد ظهرت و انتشرت والبعض منها جرى احتوائها اجتماعيا دون ان تخلف ضررا كبيرا على المجتمعات العربية والإسلامية في حين ان البعض الاخر منها قد اتسع وانتشر كالنار في الهشيم وبات مريدو ومساندو تلك الحركات والجماعات اكثر تأثيرا واقوى قدرة على نشر أفكارهم ومعتقداتهم رغم ان المجتمع رافضا لها الا

انها فرضت بموجب وسائل قد تصل الى استخدام القوة او التلويح بها .

السياسة الأمنية العسكرية وكما هو معروف جزء من السياسة العامة للدولة وبالتالي فهي احد ادواتها أي أدوات الدولة في تنفيذ متطلبات بناء الامن الوطني لذلك فأنها لا تقتصر اطلاقا على معالجة عدو خارجي قد يكون هدد او يهدد المصالح الوطنية بل ان مقتضيات الحالة القائمة تستوجب ان تكون لتلك السياسة وادواتها التنفيذية الممثلة بالقوات المسلحة والأجهزة الأمنية الدور الريادي في معالجة او التصدي للظواهر المقوضة للأمن المجتمعي والسلم الاجتماعي والذي هو جزء حيوي ومهم من الامن الوطني، وهنا لابد من التأكيد على ان أدوات المعالجة والتنفيذ لمثل هذه المهام قد تكون مختلفة جذريا عن تلك التي غالبا ما تعتاد على استخدامها القوات المسلحة والأجهزة الأمنية عند مواجهة عدو خارجي او لمعالجة تمرد او عصيان داخلي كون مثل هذه الظاهر يتداخل فيها الفعل الأمني والعسكري مع المعالجة الفكرية والاجتماعية.

قبل عام 2003 لم يكن العراق خاليا تماما من مثل هكذا حركات عقائدية هدامة و جماعات متطرفة الا ان طبيعة النظام وادواته القمعية والقدرات العالية التي كان يمتلكها في مجال بسط الامن بقوة قاهرة لم تفسح المجال لتلك الحركات والجماعات ان تبرز عدا محاولات بائسة قبرت في مهدها او انها حتى لم تستطع الإعلان عن نفسها علانية، اما بعد التغيير في عام 2003 فان الامر اختلف جذريا فلم تعد الأجهزة الأمنية كما هو عليه الحال سابقا فضلا عن وجود المحتل ومحاولاته المتكررة لخلق أجواء مناسبة لزرع الفرقة بين العراقيين وتشجيع كل ما يضعف النسيج الاجتماعي والوطني العراقي، ثم جاء الإرهاب والذي هو بالأساس الأداة المنفذة لتلك الجماعات والحركات ليمنحها فرصاً اكبر للتوسع والانتشار مدعومة بوسائط تواصل اجتماعي جعلتها متمكنة من الوصول الى كل زاوية بالمجتمع طارحة افكارها بصورة مغايرة للواقع مع قدرات عالية على الاقناع وهكذا باتت الأرضية مناسبة في العراق لتنتشر تلك الجماعات والحركات بشكل غير مسبوق.

المعالجات على الصعيد الأمني والعسكري مرت بمراحل متعددة وفقا للحالة القائمة والامكانيات المتيسرة وطبيعة التهديدات القائمة من تلك الجماعات والحركات وقد اخذت اشكالاً متعددة هي الأخرى تنوعت وفقا لمتطلبات المعالجة، البعض من المعالجات اخفقت في تحقيق ما تصبو اليه الاستراتيجية الموضوعة للمعالجة والبعض الاخر نجح وبنسب متفاوتة ، النجاح والفشل لا يعني ان السياسات الأمنية قد اخفت

كليا او انها نجحت كليا، لا بل ان طبيعة العدو الهلامية والتحديات المتغيرة وما للجوار الإقليمي من تأثير فضلا عن ما خلفه الاحتلال الأمريكي من تداعيات كلها تقريبا أدت بشكل او باخر الى الوصول الى تلك النتائج .

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في انها تعالج واحدا من المواضيع التي غالبا ما تعالج بصورة أحادية أي تدرس من جانب واحد في الوقت الذي تحتاج الى ان تدرس من جوانبها المتعددة كون السياسات الأمنية والعسكرية في معالجتها للحركات الهدامة ذات الفكر المتطرف لا تقتصر باي حال من الأحوال على استخدام القوة بمعناها الوظيفي فقط بل تتعدى ذلك لتتعشق مع باقي السياسات من اجل إيجاد صيغ اكثر ملائمة للمعالجة وهذا ما يعطي لمثل هذه الدراسة أهميتها.

إشكالية الدراسة: ان الإشكاليات القائمة يمكن ان تحدد بما يأتي:

1. الجماعات المنحرفة عقائديا والحركات المتطرفة هل هي نتاج لواقع افرزته المتغيرات الجذرية في المجتمع العراقي بعد التغيير او انها متأصلة في جذور المجتمع العراقي.

2. السياسة الأمنية والعسكرية بدخولها طرفا في الصراع مع تلك الجماعات والحركات هل ستوظف ذات الأدوات التي غالبا ما تستخدم في الصراعات المسلحة او ان هذه الظاهرة تحتاج الى أسلحة من نمط اخر غير تلك المألوف استخدامها من أدوات تنفيذ السياسة الأمنية.

3. بالتأكيد ان هنالك جملة تحديات تعتري تلك السياسات عند المعالجة الا ان الإشكالية القائمة هي ان أي من تلك التحديات يفترض بها ان تكون لها الاسبقية على ما سواها ام ان العمل يجب ان يجري بالتزامن لمعالجة كل تلك التحديات.

فرضية الدراسة: بنيت الدراسة على جملة من الافتراضات البعض منها يتعلق بطبيعة المهام والأدوار المحددة قانونيا للمؤسسة الأمنية في مجال معالجة تلك الظواهر والمتمثلة باستشراء الأفكار المتطرفة والهدامة بما يهدد السلم والامن المجتمعي وبالتالي باتت تشكل خطرا على الامن الوطني العراقي ومن هذه الافتراضات ما يأتي:

أ. ان السلم الاجتماعي والامن المجتمعي وصولا الى الامن الوطني كل لا يتجزأ وبالتالي فان الخلل في أي منهم ينعكس سلبا على عموم المجتمع، وعليه فان المعالجة الحاسمة لهذه الظواهر المدانة امر لابد منه.

ب . ان تحقيق اعلى درجات الاستقرار الأمني تكمن في نجاح السياسات الامنية في

معالجتها لتلك الحركات والجماعات حيث ان الركون الى المهادنة يمنحها القدرة لطرح أفكارها بحرية بالتالي تسميم أفكار المجتمع .

هيكلية الدراسة: قسمت الدراسة على ثلاثة مباحث وكما يأتي:

- المبحث الأول: نشوء وتطور الحركات المتطرفة والجماعات المنحرفة في العراق.
- المبحث الثاني: السياسات الأمنية الأدوار والمهام ومراحل العمل في معالجة الإرهاب والحركات المتطرفة والهدامة.
- المبحث الثالث: التحديات التي تعتري تنفيذ السياسات الأمنية والعسكرية وسبل المعالجة .

- المبحث الأول

نشوء وتطور الحركات المتطرفة والجماعات المنحرفة في العراق

التحول الجذري هو التحول نحو العنف المفرط في العراق ظهر مع ظهور الامريكان في شوارع بغداد بعد سقوط النظام ولذلك فان ظهور جندي المارينز الأمريكي ظهيرة يوم 9 نيسان 2003 في وسط (عاصمة الخلافة الإسلامية) لأكثر من خمسة قرون، كان كافياً لاستنفار التاريخ محتشدا في الصراعات السياسية والخلافات المذهبية والاجتهادات الفقهية المرتبطة بتلك الفترة دفعة واحدة وبصيغة عودة لما بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة 1258م 656 هـ [1] مدفوع هذا الشعور بالصعود المتنامي للفكر الإرهابي وعودة رائده الأول (محمد عبد الوهاب)[2] الى مواجهة تأخذ الرموز التي على المقاتلين المسلمين الاستلهام من أفكارهم وأفكار رائدة بالتفكير (ابن تيمية) لتخريج أساليب العنف بأقصى ما يمكن من تصعيد.

البوادر الاولى لظهور المجاميع الارهابية كان في شهر اب حيث ظهرت الابعاد الحقيقية للإرهاب وامكانياته تخريب خطط الاحتلال، ففي السابع من أب 2003 انفجرت سيارة مفخخة امام السفارة الأردنية في بغداد قتله ثمانية عشر شخصا، كان ذلك اسوأ هجوم يقع على هدف غير عسكري منذ نهاية الاعمال الحربية، لم يكن دافع

(1) محمد مظلوم , الطائفة والنخبة الطائفية , منشورات الجمل, برلين, ط1 ., 2016 ص16

(2) يذكر لريحاني ان امير منطقة الاحساء كتب الى الشيخ محمد عبد لوهاب ينذره ويدعوه الى التراجع عن غيه، مما حمل الشيخ خوفا على حياة، فلتقنعه امير ذو طموح كبير محمد بن سعود، امير منطقة درعية ان ذاك وتعاهدا على عقد أحد الذي جمع بين عقيدة (المصلح) وسيادة (الأمير) عهد (السيف والمذهب) الذي لايزال يجمع بين الوهابيين وال سعود الى اليوم وهذا ما يجسده العلم الوطني السعودي الذي جمع ما بين كلمة التوحيد وصوة السيف المسؤول – المصدر تاريخ مجد الحديث، امين الرعائي ص29-28

ذلك الهجوم واضحاً منذ البداية، وفي 19 أب جرى تفجير شاحنة مكشوفة تحمل عشرة أطنان من المواد الشديدة الانفجار امام مبنى مقر الأمم المتحدة في خندق القناة قتل على اثرها 22 شخصا وجرح قرابة 150 أخرى وكان (دي بليلو) ممثل الأمين العام للأمم المتحدة احد الضحايا، وتكرر الاعتداء ثانية وبعد مرور ثلاثة أيام على ذات المبنى مما دفع بالأمين العام للأمم المتحدة حينها (كوفي عنان) الى سحب بعثة الأمم المتحدة من العراق، والتصعيد الأخطر الذي انذر بان الإرهاب قد وصل الى النقطة الحاسمة هو ما حصل يوم الجمعة 29أب 2003 حينما تداعت اخر الفرص لإيقافه وذلك عندما فجرت عجلة اوقد تكون خزانات في المدخل الجنوبي مرقد الامام علي (ع) عند خروج المصلين في يوم الجمعة والذي كان يحضرهم حينها اية الله العظمى السيد الشهيد محمد باقر الحكيم والذي كان يمثل خط الاعتدال في البيت الشيعي حينها راح ضحية هذا التفجير الشهيد الحكيم واكثر من 100 من المصلين والمئات من الجرحى.

الإعلان بشكل رسمي عن ظهور اول تنظيم إرهابي يرتبط من حيث الفكر بالقاعدة كان على يد الزرقاوي من خلال تنظيم التوحيد والجهاد والذي وكما بينا في الفصل السابق تطوراً لاحقا ليصبح جزءاً من تنظيم القاعدة بعد ان بايع الزرقاوي ابن لادن في عام 2004 بعد معارك الفلوجة الثانية لكن بقيت هذه المبايعة فكرية فقط أي ضمن التوجه العقائدي كون الزرقاوي لا يسمح بان يقاد التنظيم من قبل أطراف أخرى حيث بقي مستقلا من حيث التخطيط والتمويل و التنفيذ وحتى مقتل الزرقاوي[3] ويقال بهذا الصدد ان ابن لادن عارض في البدء الاندماج بين القاعدة والتوحيد والجهاد وبسبب عنفه ومذهبيته الزائدة المفرطة ، بأعتبار ان القاعدة ترى ان النزاع الجماعي بين السنة والشيعة سوف يحرف تركيز المواجهة عن العدو البعيد (الولايات المتحدة والدول الغربية) وفي نهاية سنة 2004 وضع بن لادن تحفظاته جانبا واندمج مع الزرقاوي الذي بدأ وهجه يفوق أبن لادن نفسه وكان بن لادن حينها متخفيا في باكستان وبات اكثر

(3) نضيرة الشامي , الاعـلام الفضائي والإرهابي , دار أسامة – عمان الأردن – ط1 2015 ص235

عزلة وهامشية.[4] الظواهري كان أكثر إدراكا لخطورة الزرقاوي وفكره المتشدد وهو بهذا الصدد يبلغ الزرقاوي برسالة وقعت بيد الامريكان في تموز يوليو2005 حيث يحذره' فيها من المبالغة في العنف الذي يجعل الجماهير المسلمة ستستغي عنه وتحول ولاءها عن القاعدة.[5]

(4) علي عبد الأمير علاوي , احتلال العراق ربح الحرب وخسار السلام , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , بيروت , ط1 , 2009 ص276

تطور التنظيمات الارهابية في العراق

(5) المصدر نفسه ص231

بفعل سياسة النظام الصدامي البائد واعترافاته في وسائل الاعلام المرئية بامتلاكه لأسلحة الدمار الشامل وجدت الولايات المتحدة الامريكية وبعض حلفائها ومنهم بريطانيا ذريعة لمهاجمة العراق واحتلاله في (ربيع عام 2003) حيث احتلت القوات الامريكية بغداد . وقد ترتب على ذلك الكثير من التأثيرات والاحداث التي استثمرتها الجماعات الارهابية التي كانت حينها تتواجد في شمال العراق. وعلى وجه التحديد شرق مدينة السليمانية. حيث افكار جماعة انصار الاسلام الذين كانوا تحت قيادة (كريكور). والغالبية من الاكراد والى جانبهم كان يعسكر الزرقاوي ومعه المئات من بقايا تنظيم (جند الشام) ممن قاتلوا الى جانب حركة طالبان والقاعدة اثناء احتلال الامريكان لافغانستان ليعلن حينها نوع من التحالف بين التنظيمين تحت مسمى جديد (التوحيد والجهاد وهو في حقيقته امتداد لتنظيم القاعدة وتحت قيادة ابو مصعب الزرقاوي. وبعد ثلاثة اشهر من سقوط النظام في بغداد بدأت العمليات الارهابية بتفجير مبنى السفارة الاردنية في (9 اب 2003) ومن ثم مبنى الامم المتحدة في بغداد يوم (21 اب من العام نفسه). تم التفجير الاكثر خطورة وهو تفجير بالقرب من ضريح الامام علي (عليه السلام) في النجف الاشرف والذي ادى استشهاد السيد محمد باقر الحكيم لتتصاعد بعدها العمليات الارهابية في مختلف مدن العراق.

تنظيم القاعدة الارهابي

أ- يعد هذا التنظيم من اكثر التنظيمات الارهابية في العراق

انضباطا وسرية. ورغم كل المحاولات التي جرت على مدى السنوات الماضية لكشف شبكاته الا ان هنالك تجدداً وتواصلاً مما جعل هذا التنظيم يستمر في عملياته الارهابية ولو بدرجة اقل بكثير عما كان عليه الامر في الاعوام (2004 و2005 و2006). والذي يميز هذا التنظيم ايضا هو كثرة الفصائل المنضوية تحت لوائه وبمسميات مختلفة الغاية منها التمويه وعدم كشف التنظيم بالكامل الى الحد الذي يوحي بأن لهذه الفصائل استقلالية كاملة عن رأس الهرم الذي يقود العمليات الارهابية في بغداد والمدن الاخرى.

ب- عمل هذا التنظيم على مختلف الأصعدة، ففي الوقت الذي استمر فيه بفعالياته الارهابية على نطاق واسع وفي مناطق مختلفة من بغداد ومدن غرب العراق والموصل وديالى وكركوك واجزاء من مناطق جنوب بغداد فضلاً عن فعاليات محددة في مناطق وسط وجنوب العراق الا انه عمل من جانب اخر على اقامة تنظيمات ادارية لما يسمى بولاية العراق الإسلامية. واعلن عن قيام ولايات في مناطق مختلفة من العراق منها ولايات بغداد وشمال بغداد وجنوب بغداد ووضع على رأس كل منها ما يسمى بالوالي كإشارة الى العودة الى النظام الاداري الاسلامي.

ت- في الوقت ذاته فأن تنظيماته الادارية تماثلت مع ما موجود في الدولة الحديثة من وزارات سواء الخدمية منها او الامنية وغيرها. لذلك ومن خلال عمليات الدهم والتفتيش والمتابعة تم إلقاء القبض على العديد من هؤلاء الوزراء ومنهم وزير الري والزراعة والمالية والاعلام وغيرهم.

ث- يمكن اعتبار التنظيمات الاتية هي اكثر التنظيمات الارهابية المرتبطة بتنظيم القاعدة في العراق والذي اطلق على نفسه تسمية (تنظيم القاعدة في بلاد وادي الرافدين)[6] وتشمل:

(6) حسن سلمان خليفة البيضاني، حرب مكافحة الارهاب تجربة ميدانية، دار الحكمة لندن , ط1 , 2012، ص33.

أولاً: التوحيد والجهاد

وهو الفصيل الاكثر نشاطاً والذي يعد الجزء الاساس والحيوي في الهيكل العام لتنظيم القاعدة. ويعد هذا الفصيل من اكثر الفصائل تشدداً ويضم الكثير من العناصر من (العرب والأجانب) ويعتمد في تنفيذ عملياته في الغالب على العجلات المفخخة التي يقودها الانتحاريون والاحزمة الناسفة فضلاً عن عمليات الاغتيال والاطلاق غير المباشر.

ثانياً: الجيش الاسلامي

وهو احد الفصائل المرتبطة بالقاعدة والذي يتذبذب في ولائه تجاهها. وحاول لمرات عديدة ان يجد لنفسه كيانا مستقلاً. وتقرب كثيراً من القوات المتعددة الجنسيات وانخرط العديد من افراد تنظيمه وقياداته ضمن الصحوات. الا ان جزءاً كبيراً منه لازال مستمراً في الاعمال الارهابية[7].

(7) المصدر نفسه ، ص76.

ثالثاً: أنصار السنة

برز هذا التنظيم في عامي (2006-2007) كرد على عمليات جيش المهدي. حاول هذا التنظيم ان يجد له صفة عراقية الا انه ظل مرتبطاً بتنظيم القاعدة. ونفذ العديد من العمليات الارهابية اغلبها ذات طابع دموي. ينتشر على نطاق واسع في منطقة الاعظمية والفضل. وكانت له قواعد في جنوب بغداد بعد عام (2007) إثر مباشرة (القطعات العراقية) بتنفيذ خطة فرض القانون ضمن ذلك القاطع[8].

(8) ضرغام صادق، نشوء الجماعات المتطرفة في العراق بعد عام 2003 واثرها على الامن القومي، رسالة ماجستير في كلية الدفاع الوطني للدراسات العسكرية، 2018، ص38.

رابعاً: فيلق عمر

تنظيم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقاعدة وهو احد أجنحتها العسكرية الفعالة. كان له دوراً ارهابياً واسعاً ضمن مناطق الاعظمية والفضل وحي العدل والجامعة. وقد جاء تشكيله هو الاخر كرد فعل لتشكيل جيش المهدي. بدأ نشاطه بالانخفاض في (عام 2008) والقي القبض على الكثير من عناصره[9].

(9) ضرغام صادق، نشوء الجماعات المتطرفة في العراق بعد عام 2003 واثرها على الامن القومي، مصدر سابق، ص39.

يمكـن اعتبـار المرحلـة التـي كانـت فيهـا تنظيـمات القاعـدة تتسـيد الموقـف في العـراق هـي المرحلـة الاكـثر خطـورة مـن مراحـل البنـاء للتنظيـمات الارهابيـة في العـراق. فقـد قـاد الزرقـاوي هـذه التنظيـمات وفـق افـكاره التـي تشـكل اقـصى درجـات العنـف والتكفـير الطائفـي. ويمكـن قـراءة اسـلوب تفكـير هـذا الارهـابي مـن الرسـالة المشـهورة التـي بعـث بهـا ابـن لادن(*) ازدادت قـدرات هـذا التنظيـم الى حـد كبـير وباتـت اهدافـه اكـثر اتسـاعاً وبـدأت مسـميات جديـدة تـبرز منهـا مثلـث المـوت وهـي المنطقـة المحصـورة بـين بغـداد والمـدن المقدسـة، ثـم جـاءت احـداث تفجـير سـامراء في (22 شـباط 2006) لتنـذر بانـدلاع حـرب (اهليـة طائفيـة). فقـد جـرت بعـد يـوم مـن التفجـيرات عمليـات تصفيـات جسـدية وتدمـير للجوامـع والحسـينيات والمسـاجد. بلغـت اكـثر مـن (5) الاف مغـدور مـن كلا الطائفتـين وقرابـة (176) مسـجداً وحسـينية(10). لم يغـير مقتـل الزرقـاوي في حزيـران مـن (عـام 2006) مـن الامـر شيء. بـل بقيـت وتـيرة الارهـاب بالتصاعـد. ثـم مـا لبثـت في الاخفـاق والتراجـع بعـد الاعـلان عـن خطـة فـرض القانـون في بغـداد في (14 شـباط 2004) والمبـاشرة بتطبيقهـا. المـدة مـن بدايـة (عـام 2007) وحتـى نهايـة (عـام 2011) كانـت القاعـدة والتنظيـمات الارهابيـة الاخـرى في تراجـع مسـتمر حيـث فرضـت القـوات الامنيـة سـيطرة اكـبر عـلى الموقـف وباتـت اكـثر قـدرة عـلى التعامـل مـع تلـك التنظيـمات(11).

خلاصـة القـول حـول المرحلـة والمتمثلـة بسـيطرة القاعـدة في بـلاد الرافديـن عـلى الغالبيـة العظمـى مـن التنظيـمات الارهابيـة انـه لابـد مـن الاشـارة الى حقيقـة لهـا اهميتهـا في الاوضـاع السياسـية. اذ ان الاحتـلال الامريـكي للعـراق (عـام 2003) تسـبب في تنامـي العمليـات الإرهابيـة. اذ تحولـت العديـد مـن المـدن

المرحلة التي كانت فيها تنظيمات القاعدة تتسيد الموقف في العراق هي المرحلة الاكثر خطورة من مراحل البناء للتنظيمات الارهابية في العراق

(*) نصت الرسالة على (ان الشيعة هم العقبة الكؤود والحية الرقطاء والعقرب الخبيثة والعدو المتجسس والسم الرعاف وانهم طائفة الـدس والخيانة طوال التاريخ وقلت مـراراً وتكراراً ان الحل الوحيد هـو ضرب كوادر الشيعة الدينية والعسكرية ونجددها ضربة بعد ضربة الى ان ينجو السنة) المصدر موسوعة التطرف، مجموعة باحثين، مركز بلادي، بغداد، 2017، ص62.

(10) حسن البيضاني، سيرة الدم , الدار العلمية للنشر , بغداد , ط1, 2021 ، ص144.

(11) حسين جاسم الخزعلي، داعـش والامـن الوطني، دار الحكمة، لندن، ط1، 2015، ص141.

العراقية الى خنادق متقابلة متصارعة فيما بينها بمختلف الوسائل بين مؤيد ورافض او معارض له. ومن جهة ثانية ان العملية السياسية بحكوماتها المتعاقبة والتي تشكلت بعد (عام 2003) واجهت تحديات وعقبات متنوعة ومختلفة. اذ ان الوضع الامني الهش الناجم عن ايديولوجية نظام صدام الدموي قد ادى الى ذلك كله، فاصبح الارهاب الدموي ضد الاقليات والطوائف من مقومات المرحلة اللاحقة مع تصاعد الرفض من قبل الطائفة التي وجدت نفسها خارج اللعبة السياسية. أو ان دورها تحدد وفق نسبها بالمجتمع وعليه فان غالبية المحاولات لترسيخ او غرس قيم التسامح والتعايش السلمي واستتباب الامن المجتمعي ونبذ العنف والكراهية بين افراد المجتمع العراقي قد تراجعت الى ادنى مستوياتها. وقد وجدت بقايا خلايا حزب البعث الفرصة مواتية لاستغلال هذا التراجع والاخفاق في احلال تجمع متعايش. لذلك عملت وبكل قوة على تأجيج الصراع الطائفي. ومما لا شك فيه ان ما سعى اليه حزب البعث قبل سقوطه من دعوات متصاعدة من قبل جهات متطرفة متشددة للدفاع عنه كانت البداية الاولى لتشكيل الزمر والعصابات الارهابية. حيث استطاع البعث وقبيل سقوطه بايام استقطاب ما يزيد عن (5) الاف من الاصوليين والمتشددين العرب بحجة الدفاع عن نظام صدام والذين تحول غالبيتهم الى عناصر فاعلة في تلك التنظيمات الارهابية لاحقاً وكما هو معروف فان غالبيتهم كانوا من اصول سورية ويمانية حيث تنشط في بلدانهم الحركات الاصولية المتشددة، ان كل ما حصل كان وسيلة ضاغطة على الجمهور لأقناعه ان التغير لم يأتِ بثماره ولم يكن بصالحه، بل جاء لمصالح فئوية ضيقة متمثلة بالطبقة السياسية التي برزت بعد السقوط. وأن هؤلاء هم عناصر منتفعة تتجاهل مصالح الاغلبية من المواطنين[12].

(12) رشيد الخيون، 100 مئة عام من الاسلام السياسي في العراق، ج2، مركز مسيار، الامارات العربية، ط1، 2012، ص22.

داعش مرحلة التمدد واحتلال الموصل

أسهمت جملة من الاحداث الجسام في تغيير التنظيمات الارهابية من جلدها وبوصلة اتجاهاتها. بعد ان وجدت ان الارضية صالحة لمثل هذا التغيير. فبالنسبة للعراق حصل متغير كبير في البنية التنظيمية للقاعدة بعد مقتل (ابو عمر البغدادي) وابو حفصة المصري في (تشرين الاول 2010) على يد قوة امنية عراقية. حيث استلم قيادة التنظيم (ابو بكر البغدادي) أحد أهم الافراد القيادية التي جرى تهيئتها لهذه المرحلة. خاصة حينما كان حبيس جدران سجن بوكا في الاعوام (2006 و2009) حيث التقى في مدة سجنه بالكثير من القادة العسكرين العراقيين داخل السجن. وكذلك مع قيادات بعثية متمرسة فضلاً عن امكانياته الشخصية التي تؤهله للعب مثل هذا الدور بوصفه حاصلاً على شهادة عليا بالفقه والتشريع[13].

يضاف الى ذلك ما حصل في الربيع العربي من متغيرات دفعت باغلب التنظيمات الاصولية المتشددة في البلدان العربية الى المواجهة. بعد ان استغل الاسلام السياسي المتطرف هذه الفرصة ليصبح قائداً لهذا الحراك الشعبي وهذا ما دفع بالآلاف من الشباب العرب للانضمام الى تلك التنظيمات[14].

أسهمت موجة اخرى بدأت مع بداية (عام 2011) تمثلت في انهيار نظم سياسية عربية وحصول فجوات امنية وتصاعد المد الاصولي التكفيري مما اتاح الفرصة لتلك التنظيمات وخلاياها النائمة من ان تعيد تنظيمها. وتبدأ بالقيام بأعمال ارهابية اكثر تنظيماً وترتيباً وعنفاً. وقد ساعدها في ذلك امران اساسيان الاول تمثل في تراكم الخبرات التي امتلكتها تلك التنظيمات وتصاعد القدرات القتالية وارتفاع مستوى المهارات القيادية لدى قادتها بعد انضمام الكثير من الضباط والعسكر لهذه التنظيمات. وقد اتسم هذا الامر بانعدام الانسانية في

(13) مجموعة باحثين، موسوعة التطرف، دار الرافدين , بيروت , 2016 ، ص16.

(14) جون اربرادلي، ما بعد الربيع العربي مصير التنظيمات الإرهابية، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2018، ص72.

تنفيذها للعمليات الإرهابية. الامر الثاني هو وفرة المتطوعين من الرجال والنساء الذين بدأوا بالتوافد على العراق. بعد ان اصبح التنظيم اكثر قدرة على استيعاب اعداد جديدة. حيث انضم (عشرات الالاف) من المتطوعين بصفة (مجاهدين). لتغدو داعش (الدولة الاسلامية في العراق والشام). وخلال مدة وجيزة أصبحت القوة الاكبر بالمنطقة والتنظيم الارهابي الاشد خطراً حتى من القاعدة نفسها[15].

لم يتوقف الامر على العراق بل ان أذرع داعش العاملة في العديد من المدن والعواصم الغربية، بدأت بالتحرك سواء بايعاز مباشر من قادة داعش في العراق وعلى راسهم (ابو بكر البغدادي) والحاج بكر[*] وغيرهم. أو انهم وفق العقيدة القتالية التي رسختها داعش في اذهانهم من خلال وسائط التواصل الاجتماعي قاموا بالتخطيط والتنفيذ لتلك العمليات. حيث نفذت في مدن باريس وأوسلو وبروكسل ولندن ومدريد وسان ميراندوا وفي سباق للمارثون في نيويورك وغيرها. وبذلك تجاوزت داعش عقدة الحدود والعمل الاقليمي لتنطلق في عملياتها الواسعة النطاق مع بداية (عام 2013) الى العالمية. وليصبح الامن الوطني والقومي للدول جميعها مهدد من قبل داعش. ورغم ان داعش ابتعدت عن المبدأ الذي عملت عليه القاعدة وهو استهداف العدو القريب واعتبار العدو البعيد هدفاً استراتيجياً لاحقاً، فاننا نجدها تجمع بين الامرين. ففي الوقت الذي نفذت فيه داعش خلال (عام 2013) قرابة (3800) عملاً ارهابياً في عموم المنطقة العربية من مجموع الاعمال الارهابية التي نفذت من التنظيمات الارهابية كلها على مستوى العالم والبالغة (9800) عملاً ارهابياً اي بنسبة تصل الى (40%)[**]. نجدها تعد العدة في بداية (عام 2014) للقيام بما هو اكثر خطورة حيث جرى احتلال الفلوجة واغلب اقضية ونواحي محافظة الانبار ثم التوجه باتجاه سامراء

(15) أريك روبنسون، عندما تصل الدولة الإسلامية الى المدينة التأثير الاقتصادي لحكومة الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، مقال منشور على موقع: www. rand.org

(*) الحاج بكر، احد اكثر الارهابيين شهرة في العراق عمل ضابط استخبارات في القوة الجوية العراقية قبل السقوط انتمى الى القاعدة (عام 2003) والتقى ابو بكر البغدادي في سجن بوكا اصبح ساعده الايمن لاحقاً قتل في سوريا (عام 2014). المصدر- موسوعة التطرف، مجموعة مؤلفين، ج2، مصدر سابق، ص527.

(**) (عام 2014) شهد النسبة الاعلى من العمليات الارهابية على مستوى العالم من قبل التنظيمات الارهابية بمختلف مسمياتها حيث بلغ عدد العمليات الارهابية (130463) اعتداء ارهابي اسفر عن مقتل (32.700) شخص واختطاف (9400) اخرى اي بزيادة عن العام الذي سبقه (بـ35%) وان اجمالي الخسائر زادت بنسبة (81%). المصدر: معهد الاقتصاد والسلام-مؤشر الارهاب العالمي (لعام 2014) منشور على موقع عربي News-BBC.

ومن بعدها وفي شهر حزيران كان تقدم لأكبر مغامرة على المستوى السوقي حيث قامت باحتلال الموصل واندفعت لاحتلال تكريت وكامل محافظة صلاح الدين والحويجة والانبار ومناطق شاسعة من كركوك وديالى. لتصل الى حافات بغداد وتلامس حدودها الغربية والشمالية الغربية حيث عامرية الفلوجة والجنوبية الغربية حيث جرف الصخر. اي ما بنسبة (40%) من ساحة العراق الكلية. وتصبح تحت رحمتها ثلاث محافظات بالكامل وقرابة (22) قضاء. وعشرات الضواحي ومئات القرى واكثر من (ستة ملايين) مواطن عراقي. وقد ركزت داعش على الموصل اكثر من سواها حيث اعلن عن انتقال عاصمة (الخلافة) من الرقة الى الموصل. والقى البغدادي خطبته الشهيرة في الجامع الكبير في الموصل يوم (29 حزيران 2014) معلناً قيام دولة العراق الإسلامية. ما جرى بعد احتلال الموصل من جرائم وبخاصة تلك التي طالت النساء والاطفال سواء من المسلمين او من اليزيديين والمسيح هو اكبر مما يتصوره العقل البشري. حيث بيعت النساء بالمزاد العلني واستبيحت حرمات البيوت وجرى اجبار النساء والفتيات على الاقتران بازواج من (المجاهدين الاجانب) عنوة. رافق كل ذلك جرائم اخرى لا تقل دموية ووحشية ومنها جريمة (سبايكر) التي ذهب ضحيتها يوم (12 حزيران) قرابة اكثر من ألف من المتطوعين بالجيش العراقي. ثم اردفت داعش بجريمة اخرى هي مجزرة (البو نمر) في الانبار. وهكذا تصاعدت العمليات الارهابية من شكلها التقليدي الى شكل أكثر دموية وعنف وراح ضحيتها عشرات الالاف[16].

بمجرد استيلاء داعش والعصابات الارهابية على الموصل والمدن والاخرى حتى باشرت بتنفيذ حملات وحشية وابادة جماعية لفئات اجتماعية مختلفة

(16) حسن سلمان خليفة البيضاني، الموصل بين الاحتلال والتحرير، مكتبة دار الحكمة ، بغداد، ط1، 2022، ص37.

داعش ما بعد احتلال الموصل وحتى الانتصار

بمجرد استيلاء داعش والعصابات الارهابية على الموصل

والمدن والاخرى حتى باشرت بتنفيذ حملات وحشية وابادة جماعية لفئات اجتماعية مختلفة ابتداء من المسلمين الشيعة والطوائف والاديان من غير المسلمين. وجرى تهجير الطوائف كلها من تلك المدن ومنها المسيحيين والاثوريين والشبك واليزيديين. وسبيت نسائهم وفتحت اسواق النخاسة لبيعهم فيها كالعبيد هن واطفالهن. وقتل كل من وقعت عليه اياديهم من الرجال ومصادرة البيوت والممتلكات وفتح مزادات لبيعها بابخس الاثمان. فضلاً عن الاستيلاء على الثروة الحيوانية التي يتميز الشبك بتربيتها، في حين جرى اسكان عوائل داعشية في الدور التي اخليت من ساكنيها قسرا. وقد جرى تصنيف المجتمعات التي ترزخ تحت سيطرة داعش من غير المنتمين لها الى:

1. الفئة الاولى: الكفار الاصليين وهم الأيزيدون والشبك.
2. الفئة الثانية: الكفار من اهل الكتاب وهم المسيحيون والاثوريون.
3. الفئة الثالثة: الكفار المرتدين: وهم العاملين في الشرطة او الجيش او الامن وكذلك الصحوات والسياسيين السنة المؤيدين للحكومة.
4. الفئة الرابعة: الكفار من المسلمين الشيعة ويطلق عليهم الروافض.

وجميع هذه الفئات يحل قتلها وسبي نسائها ومصادرة اموالها[17].

(17) المصدر نفسه، ص38.

الحركات الهدامة

الحركات الهدامة سواء على امتداد التاريخ العربي والإسلامي او تاريخ العراق قديمه وحديثه لم تكن غائبة على الاطلاق عن سوح الأحداث بل كانت تمثل الوسيلة الأكثر تأثيرا ونجاحا في بلورة مواقف مضادة سواء للدين او المذهب والوطن، وقد انتبه النظام الصدامي السابق الى أهمية مثل هذه الحركات وحاول جاهدا ان تكون احد أسلحته غير المعلنة لمحاربة الفكر الشيعي والمرجعية وقد نجح في تجنيد هذه الحركات في مواقف كثيرة في حين فشل في مواقف أخرى، وقد استغلت تلك الحركات الأوضاع غير المستقرة

والتصعيد الحالي لتصعد من عملياتها خاصة وانها أرست قواعد شبابية لها من خلال أساليب جاذبة للشباب.

المناطق التي برزت فيها تلك الحركات في غالبها مناطق شيعية توالي المرجعية بشقيها سواء مرجعية الفقيه و مرجعية السيد السيستاني، كونها نادرة الانتشار في المناطق التي يكون للتيار الصدري فيها الثقل الأكبر وهذا الامر يتعلق بالدرجة الأساس بالقاعدة الجماهرية للتيار التي يصعب اختراقها كونها تعتمد على مبدا الولاء المطلق وتستخدم القوة المفرطة تجاه أي حركة او تيار مضاد للأفكار التي يجري طرحها او تبنيها من قبل قيادات التيار.

ان من اهم الحركات الهدامة في العراق بعد عام 2003 ومناطق نفوذه ما يأتي:

الحركة الصرخية

بدأ نشاط الحركة مع تصاعد الاعمال الإرهابية في عام 2004 وقادها منذ البدء (محمود عبد الرضا محمد لفتة الخفاجي- الصرخي) وهو من مواليد عام 1964 وخريج كلية الهندسة جامعة بغداد لعام 1987 وقد التحق بالحوزة العلمية في النجف الأشرف علم 1994 في الفترة التي كان فيها النظام الصدامي يحاول زج عناصر محددة كطلبة بالحوزة العلمية ممن يمتلكون النبوغ والقدرة على التأثير ولديهم أفكار هدامة ومناوئة ولم يمض سوى عام واحد على وجوده في الحوزة حتى اعلن انه قد وصل الى درجة الاعلمية، بعد الإعلان عن الحركة جرى فتح مكاتب دينية متعددة لها في العديد من المحافظات الوسطى والجنوبية، يجري الاتصال باتباع الحركة عن طريق سلسلة من الحلقات تبدأ من الوكالات ثم رؤساء اللجان ثم مدراء المكاتب وفق نظام بيروقراطي صارم يشابه في كثير من تفاصيله الهرم التنظيمي لحزب البعث المقبور، تصل توجيهاته الى الاتباع في القاعدة الجماهرية التي يربو عددها على 25 الى 30 الف حسب آخر احصاء غير رسمي جرى في تشرين اول عام 2019

البدايات كانت تأسيس حزب سياسي باسم حزب الولاء الإسلامي

الذي اندثر ليتحول لاحقا الى حركة دينية اكثر تأثيراً في الاوساط التي يعمل بها لاسيما وان مؤسسها ركز على فكرة (الامام المهدي المنتظر) والتحضير لمرحلة الظهور أي ما بعد الغيبة الكبرى، معتبرا نفسه نائبا عاما وخاصا للأمام الحجة المنتظر (عج) وقد أدى ذلك الى إضفاء مسحة من القداسة وهالة دينية غير مسبوقة ، هذا الامر دفع باتجاه خلق جمهور موالي له يرفض أي تشكيك بما يرد على لسانه لاسيما وانه وعدهم بقرب إقامة دولة العدل الإلهي المقدسة الموعودة، تبنى أنصاره هذه الأفكار واصبحوا يروجون لها ويعملون جاهدين على نشرها من خلال ندوات ثقافية يختارون اماكنها بدقة في الجامعات والكليات والمداريس الثانوية وتجمعات الشباب، كما ان منشوراتهم المطبوعة ذات الكلفة العالية والمستوى الراقي من الطباعة والإخراج تكاد تغزو اغلب معارض الكتب وتوزع مجانا، كما انهم اصدروا جريدة باسم الفتح المبين تصدر أسبوعيا الا انها توقفت على اثر جانحة كورونا . وفي أوائل عام 2022 وعلى اثر طرح عناصر من الحركة لأفكار تدعا الى تهديم مقامات الأئمة والاضرحة المقدسة شنت حملة امنية وشعبية واسعة ضد الحركة مما دفع اغلب أعضائها الى الاختفاء ولاتزال الحركة تعاني من التشتت بسبب الأفكار التي تروج لها .

الحركة اليمانية

لم تكن الأفكار التي طرحها مؤسس الحركة احمد إسماعيل صالح والذي لقب باليماني وليدة الظروف الراهنة او المتغيرات الاجتماعية الحاصلة في عموم المجتمع وانما هي فكرة رافقت الدين الاسلامي منذ نشأته الأولى والتي اعتمدت على مبدأ الغيبة والظهور والتي غالبا ما يلجا اليه البعض لدوافع مختلفة وهنالك الكثير من الحركات المشابهة لليماني ومنها الامام الرباني والمولوية وجند السماء وجميعها يطلق عليها دون تمحيص الحركات المهدوية الا ان ما يميز هذه الحركة انها جاءت مصاحبة لحركة جند السماء حيث بوشر بالترويج لها من قبل مؤسسها في المناطق الجنوبية عام 2004

أي في ذروة ضياع الضوابط الأمنية والانفلات الاجتماعي وفقدان تام لسيطرة الدولة .

للحركة جملة من الأهداف المعلنة وغير المعلنة يمكن اجمالها بما يلي :

1. استهداف المرجعيات الدينية في النجف الاشرف والتشكيك بانتمائها بالعراق.
2. اعتبار المواكب الحسينية بدعة يتوجب محاربتها باي طريقة .
3. تحريم حرق او تمزيق العلم الإسرائيلي تحت ذريعة انه يحمل نجمة نبي الله داود .
4. زعزعة الامن والاستقرار باي صورة لحاجة الحركة لفقدان الأمان من اجل ترسيخ قواعدها.
5. اعتبار الأجهزة الأمنية والعسكرية أجهزة خارجة عن طاعة الامام وبالتالي يجب محاربتها.

للحركة نشاطات إعلامية واسعة النطاق مع امتلاكها قناة فضائية باسم (قناة المنقذ العالمية) وتقوم بإصدار جريدة الالكترونية بعنوان (الصراط المستقيم) كما ان مطبوعاتها تشارك في معارض الكتاب داخل العراق، اما عن النشاط العسكري فقد صدر توجيه من قيادتها بتشكيل قوة عسكرية اسموها (سرايا القائم) والغطاء انها أسست للدفاع عن المقدسات كما تصاعدت الدعوات من قبل خطباء الحركة لأنشاء جيش يطلق عليه (جيش الغضب الإلهي) وهو حركة مسلحة يكون واجبها مساندة الامام المهدي عند الظهور، حاولت الحركة في عام 2017 من ان تصعد من نشاطاتها العسكرية لاسيما في محافظة بابل وذي قار ودعت أعضائها الى الاستعداد للعمل المسلح كما انها حاولت استمالة ضباط الجيش العراقي السابق لاسيما أولئك الذين استبعدوا من الجيش الحالي بموجب قانون المساءلة والعدالة .

جند السماء: من اخطر الحركات الهدامة والمتطرفة التي ظهرت على الساحة العراقية مؤسسها ضياء عبد الزهرة الكرعاوي

جند السماء

من اخطر الحركات الهدامة والمتطرفة التي ظهرت على الساحة

العراقية مؤسسها ضياء عبد الزهرة الكرعاوي والذي سبق له ان اعتقل في عام 2000 قبل سقوط النظام الصدامي بتهمة السحر والشعوذة وحكم عليه لمدة سبع سنوات اطلق سراحه في العفو العام عام 2002 امتلك بعد مغادرته السجن شركتان للمقاولات والتجارة العامة رغم انه لا يمتلك أي موارد مالية اسماهما الضياء وبريق القمر، نجح بعد السقوط للترويج لأفكاره باعتباره قاضي السماء وقام مع اقاربه ومؤيديه بجمعه كميات كبيرة من الأسلحة التي كانت مبذولة بكثرة بعد انهيار النظام الصدام حيث بلغ عدد الأسلحة المختلفة التي يمتلكها هو وجماعته قرابة 2000 قطعة سلاح مختلفة خفيفة ومتوسطة .

استقر هو وجماعته على مقربة من مدينة النجف الاشرف في منطقة زراعية اسمها الزركة واستطاع شراء 100 دونم فيه وقام بأنشاء معسكر متكامل وحفر خندقا واحاط المكان بأسوار وساتر ترابي بارتفاع خمسة امتار محاطاً بأشجار السرو من الجانبين ثم امر جماعته بالعمل على تحصين المكان من كل الوجوه وعمل مؤسس الحركة وقائدها الكرعاوي ان يحول منطقة الزركة الى مستوطنة كاملة مكتفية ذاتيا وبوشر بنقل عوائل مؤيديه اليها من النساء والأطفال والشيوخ فضلا عن الرجال المنتسبين للحركة ، اما عن تمويل الحركة مادياً فهنالك إشارة الى ان شخصاً يدعى محمد البريطاني وهو بريطاني الجنسية كان الممول للحركة وانه هو الاخر لا أحد يعرف موارده المالية ومصادرها لهذا الرجل الذي يرتبط بعلاقة نسابة مع الكرعاوي فهو متزوج من انتصار خضير بنت عم الكرعاوي، فضلا ان الأخير كان وعند عودته من السفر سواء الى سوريا او غيرها يأتي حاملا حقيبة دبلوماسية ممتلئة بالأموال من فئة المائة دولار الامريكية.

خطط القائم على الحركة ان يكون يوم العاشر من محرم الحرام لسنة 2007 هو يوم انطلاق العمل المسلح وكانت الخطة تقتضي بان يتسلل اتباعه الى مدينتي النجف وكربلاء المقدستين تحت غطاء الاشتراك بالمواكب الحسينية ثم يقومون بمهاجمة بيوت العلماء

وقتلهم بعدها يخرج هو ليعلن على الجميع انه المهدي المنتظر من داخل ضريح الامام علي عليه السلام ويطلب من الناس مبايعته، بلغ عدد المتهيئين للاشتراك بالعملية بين 500 الى 1000 مقاتل من مختلف الاطياف يقال ان بينهم ضباط من الجيش السابق ومن الحرس الجمهوري الخاص وفدائي صدام ، ورغم العدد الكبير الذي تواجد في مستوطنة الزركة من المتهيئين للقتال وعدد العجلات المسروقة و التي بلغت اكثر من 150 عجلة نصب على الكثير منها رشاشات ثقيلة مع اعداد من الجرارات الزراعية وعجلات الحمل لأغراض الدعم اللوجستي الا ان الأجهزة الأمنية لم تكن تعرف ذلك، بل ان ما حصل كان محظ صدفة حينما اشتبكت مفرزة من الشرطة المارة الى جوار المزرعة بعناصر مسلحين من جماعة الكرعاوي لتبدا بعدها معركة استمرت ليومين اسقطت خلالها طائرة سمتيه أمريكية وقتل طيارها كما تم اسر وقتل عدد من الجنود العراقيين المهاجمين في حين قتل من مجاميع جند السماء 280 واسر الباقين ومن ضمن القتلى الكرعاوي نفسه وبذلك انتهت هذه الحركة بمجزرة دموية .[18]

(18) زهير كاظم عبود , حركة جند السماء , دار شمس للطباعة والنشر , القاهرة , ط1 , 2015 , ص 129

المبحث الثاني

السياسات الأمنية الأدوار والمهام ومراحل العمل في معالجة الإرهاب

والحركات المتطرفة والهدامة

الأدوار والمهام ومراحل العمل

غالبا ما تنطلق السياسة الأمنية والعسكرية لمعالجة أي خطر دائم من مجموعة ثوابت لابد من تحديدها مسبقا هذه الثوابت تختلف من معالجة الى أخرى تبعا لطبيعة الاخطار المحتملة والتحديات القائمة وفي معالجة الإرهاب والحركات المتطرفة والهدامة يتطلب الأمر مرونة عالية في طبيعة الخطط الأمنية والعسكرية التي يتم اقراراها لأغراض المعالجة وسبب ذلك هو ان مثل هذه الحركة في الغالب لاتستقر على حالة محددة بل تتغير تبعا لما يحيطها فما يمكن ان يكون أسلوبا للمعالجة اليوم قد لا يكون ذلك بعد ليلة وضحاها

وهذا ما جعل رسم السياسات الأمنية لمعالجة مثل هذه الاخطار في غاية الصعوبة .

نحاول هنا ان نجمع بين الأدوار والمهام لكل مرحلة من المراحل التي مر بها العمل الأمني على مدار الفترة التي أعقبت السقوط وحتى الان وكما يأتي :

- المرحلة الأولى: الاعوام2003-2007 (فقدان السلطة – مقارعة المحتل)[19]

في هذه المرحلة فان كلا الطائفتين يعملان على التصعيد سواء بدعوى مقاومة المحتل أو كعمليات إرهابية امتدت مساحة العمليات الارهابية فيها من حدود المنطقة الغربية والفلوجة لتتصاعد بشكل غير معهود في بغداد وتليها سامراء مع عمليات نوعية ارهابية في المدان المقدسة كالنجف الاشرف وكربلاء المقدسة والكاظمية لرفع وتيرة المواجهة الطائفية وصولا الى الحرب الأهلية خاصة بعد عملية تفجير مرقد الاماميين العسكريين (ع) حيث تصاعدت العمليات الارهابية لتتسع معها خارطة العمليات الإرهابية من كلا الطرفين ودمرت على اثرها المئات من الجوامع والمساجد والحسينيات وقتل الالاف في اعنف موجه عنف تجتاح العراق . لم تسلم اغلب المدن العراقية ذات الطوائف المختلطة في حين كانت مدن كردستان في منأى من تلك العمليات. شهدت هذه الفترة أيضا في حزيران في عام 2006 مقتل ابي مصعب الزرقاوي بعد ان حدد مكانه بدقة وجرت معالجة الهدف بقنبلة ذات زنة عالية ألقتها أحد الطائرات وكان لمقتلة بعض الاثر في تحديد طبيعة انتشار المجاميع الارهابية الا ان ذلك لم يكن إلا تأثيراً مؤقتاً لهذه المرحلة التي اتسمت بالخصائص التالية:

1. ابتدأت على اساس انها تبتغي مقاومة المحتل وطرده إلا أنها لم تستطيع إخفاء الدوافع الحقيقية من التصعيد في العمليات الإرهابية.
2. لم تكن مستويات العنف فيها بالسنوات الأولى تتجاوز الأساليب التقليدية المتمثلة بالعبوات الناسفة والعجلات المفخخة.
3. لاقت الى حد مقبول قبول اطياف واسعة من الشعب خاصة بالسنة

(19) بحلول عام 2005 كانت حركة التمرد تشمل على ما يريد على أربعين مجموعة لك العناصر الأكثر أهمية الأشد قتالة بينهم البعثيون السابقون وما لطبع السلفيون المتطوعون وسواهم من (الجهاديون) هذان المكونات هما حدد قوة الفرد وايدلوجية وشد ضغط حملاته التي غدت تعلوا على نحو متزايد مشابكة ومتواشجة حيث ان اكث العمليات الإرهابية التي شهدتها الأعــوام (2003-2007) كانت موجهه حسب ادعاء تلك الفصائل الى حمل الولايات المتحدة على مغادرة العراق لكنة وفي ذات الوقت منع الشيعة من ان يباشروا ببناء الدولة الجديدة ...صحوة الشيعية ...مصدر سابق ص203

الأولى باعتبارها تمثل حالة رفض للمحتل، إلا إن انحراف العمليات الإرهابية باتجاه الانحياز الطائفي خاصة بعد عملية استهداف الشهيد الحكيم ولدت ردة فعل متناقضة.

4. شهدت هذه المرحلة مواجهتين غيرت ملامح طبيعة العمليات وهما معركتي الفلوجة الأولى والثانية يضاف إلى ذلك ما حدث في النجف الاشرف من مواجهات أدت إلى سفك دماء غير مبررة تحت دعوى مقاومة المحتل

اتسمت بعض العمليات بالطابع الوطني وخاصة تلك التي نفذتها العديد من الفصائل المسلحة الشيعية وحتى السنية

5. اتسمت بعض العمليات بالطابع الوطني وخاصة تلك التي نفذتها العديد من الفصائل المسلحة الشيعية وحتى السنية منها اذ استهدفت على وجه التحديد قوات الاحتلال حصرا.

6. طبيعة التكتيكات المستخدمة خلال هذه المرحلة كانت في البدء تميل إلى شكل من اشكال حرب العصابات الا انها اتخذت طابعاً أكثر حده لاحقا.

7. العامل الاقليمي أسهم كثيرا في التصعيد في محاولة للوصول بها إلى مرحله الحرب الأهلية فهذا ما كان يخطط له من دول الجوار.

عملية استهداف الإمامين العسكريين وهو الحدث الأهم في هذه المرحلة والذي كان يصل بها الى مسارات الحرب الأهلية بين الطائفتين

8. يمكن اعتبار عملية استهداف الإمامين العسكريين وهو الحدث الأهم في هذه المرحلة والذي كان يصل بها الى مسارات الحرب الأهلية بين الطائفتين.

- المرحلة الثانية: الأعوام 2007-2012 (إثبات الوجود – تفصيل بناء السلطة)

هذه هي المرحلة الأكثر حراجة في تطور العمليات الإرهابية ففيها جرى تقليص خارطة العمليات الإرهابية إلى أدنى مستوياتها بفعل خطة فرض القانون التي بوشر بتنفيذها في 14 شباط 2007 وما تبعها من خطط مماثلة في باقي المحافظات العراقية وخاصة الوسطى

والجنوبية، بدأت الخارطة بالتقليص خاصة في بغداد والمدن المحيطة بها ففي الوقت الذي انحسرت موجه العنف في عموم مناطق بغداد كذلك شهدت اغلب المناطق الجنوبية انخفاضاً ملحوظاً في مستوى العمليات الإرهابية في الوقت الذي حافظت فيه المحافظات الغربية و ديالى وحتى الموصل وتكريت على ذات المعدلات ، على العموم بقيت ذات الفصائل عاملة في تلك المناطق بعد استبدال تسمياتها فنجد أن جرى توقيع حلف الطيبين أصبحت دولة العراق الإسلامية هي السائدة بعد استبدال اسم حركة التوحيد والجهاد وبهذا الاسم إما أنصار السنة وجيش محمد وجيش عمرو سواها فبدأت بالاضمحلال إلا إن الخارطة حوت مجاميع جديدة منها جيش الطريقة النقشبندية وهو ذاته الوجه الأخر لتنظم حزب البعث ، الخارطة لم تتسع إطلاقا خلال هذه المرحلة على عكس المرحلة السابقة حيث انتاب الكثير من التنظيمات الحذر في حين تغير اتجاه الولاء لأحد أهم التنظيمات الإرهابية والمتمثل بالجيش الإسلامي إذ تحول غالبية إفراده إلى تنظيمات الصحوة التي أوجدتها القوات الأمريكية وباركتها لاحقا الحكومة العراقية مرغمة كونها فرضت كواقع لا يمكن نكرانه، هؤلاء غيروا كثيراً في خارطة التنظيمات الإرهابية حيث تحولت الكثير من المناطق التي كانت وقفا على الإرهاب إلى مناطق رافضة وباتت الكثير من المناطق ذات الأغلبية السنية إلى المناطق مواليه للدولة إلا أن ذلك لم يدم طويلا فمع بداية التفكير في انسحاب القوات الأمريكية من العراق حتى بدء العقد ينخرط بين الحكومة وقواتها الأمنية وبين عناصر الصحوة الذين تحول لاحقا الغالبة الأكبر منهم إلى ذات التنظيمات الإرهابية التي كانوا قد انخرطوا منها، وهنا لابد من التذكير بان الحكومة التي كان يقودها المالكي حينها حاولت أن لا تكون الصحوة والتي استبدلت تسميتها إلى (رجال العراق) وقفا على طائفة واحدة حيث زجت مجاميع من الطائفة الشيعية بذات التنظيمات في مناطق مختلفة إلا أن عموم التجربة لم تكن ناضجة بما فيه الكفاية لذلك انتابها الفشل بمجرد مغادرة الأمريكان وتحولت لاحقا إلى واحدة من المعاضل التي تعاني منها الحكومة بعد التحول الذي اشرنا إليه والذي أدى إلى عودة خارطة الإرهاب للاتساع بعد أن تقلصت إلى أدنى حدود لها، هذه المرحلة اتسمت بالعديد من

الخصائص يمكن إجمالها بالتالي:-[20]

1. قبل بدء المرحلة كانت الدلائل تشير إلى احتمالات التصعيد إلى حد الإعلان الرسمي للحرب الطائفية.

2.حال بدء هذه المرحلة والتي تمثلت بدايتها بتغيير خطة فرض القانون بتحول المبادرة تدريجيا من العدو والى القطعات الأمنية.

3. اتسمت بعودة قوة القانون إلى العاصمة وتعود المواطن بان هنالك بصيص أمل في تحسين الوضع الأمني.

4. بوشر حال بدئها بما يمكن إن يسمى المصالحة الشعبية حيث عادت الكثير من العوائل إلى مناطقهم التي هجروا منها سابقا لأسباب طائفية.

5. تصاعد وتيرة الحياة في بغداد والمحافظات بعد إن وجدت القوات الأمنية نفسها قادرة على فرض هيمنتها وسيطرتها على معظم الأحياء والمناطق وهذا الأمر ساعد على انحسار كبير في عدد العمليات الإرهابية.

6.اختفت الكثير من المظاهر المسلحة في المدن العراقية كما أن مناطق كثيرة كانت محرمة على المواطنين أصبحت مفتوحة مع عودة حركة التنقل بين مختلف المحافظات إلى طبيعتها.

7. اغلب الدول أعادت فتح سفارتها في بغداد فضلاً عن فتح قنصليات لها في مدن أخرى.

8. جرت الكثير من العمليات الأمنية المكملة لخطة فرض القانون في محافظات البصرة والموصل والعمارة وغيرها من المدن لفرض الأمن ومنع المظاهر المسلحة.

- المرحلة الثالثة: بداية الانكسار وفقدان المبادرة. (2012-2014)

هذه المرحلة لا تمثل الاتساق الصحيح لتطور العمليات الإرهابية التي يفترض إن يجري استغلالها النجاحات المتحققة في المرحلة السابقة من اجل منع أي تصعيد للعمليات الإرهابية وهذا الأمر كان ممكناً لو أن القيادة السياسية تعاملت بالحكمة المطلوبة لدرء الخطر ومسك مفاتيح الحلول والمعاضل التي بدأت تتصاعد بشكل ملفت

(20) قتل خلال هذه المرحلة على وجه التحديد يوم 19 نيسان 2010 أبو عمر البغدادي في منطقة الثرثار بعد معركة غنية استمرت (6) ستة ساعات نفذها اللواء الرابع والخامس فق 6 ر ف ع بغداد بالتنسيق مع خلية الصقور الاستخبارية وبدلالة ومساعدة الطيران الأمريكي حيث رفض فيها أبو عمر البغدادي بتسليم نفسه في حين فجر أبو حمزة المهاجر نفسه حال وصول القوة – المصدر هشام الهاشمي تنظيم داعش من المراحل – دار الحكمة لندن ط1 2016 ص27

للنظر وقد تتحمل القيادة السياسية الوزر الأكبر لما حصل خلال هذه المرحلة من انحدار نحو الهاوية في كل المجالات وخاصة الأمنية والعسكرية حيث لم تكن هنالك أي معالجات لأي معضلة تبرز بل إن اغلب المعالجات كانت بمثابة (سكب الزيت على النار) لذلك تدهورت الحالة الأمنية بشكل غير مسبوق رافق ذلك تصاعد ملفت للنظر لقدرات داعش القتالية ورغم ان أبو بكر البغدادي هو كان يقود داعش في الواجهة إلا إن شلة من ضباط البعثيين ممن أعلنوا ولائهم الكامل لداعش هم كانوا السباقين من اجل استغلال الفرص للتصعيد ومن هؤلاء. واصبحوا يشكلون جزءاً حيوياً ومهماً ما اطلق عليه مجلس الدفاع والامن والاستخبارات[21]

1. العقيد سمير الخليفاوي (الدليمي)والملقب بحجي بكر يعد قائد الظل.
2. العقيد وليد جاسم محمد الملقب أبو احمد العلواني.
3. العقيد عدنان إسماعيل نجم (أبو عبد الرحمن البيلادي).

ورغم ان الثلاثة قد قتلوا في هذه المرحلة إلا إن ما استطاعوا عمله هم من خلفهم بالمناصب التي كانوا يشغلون قد غير والى حد كبير في موازين القوى إذا ما لبثت داعش خلال هذه المرحلة بالتمدد وافقت ذلك بسلسلة من العمليات ذات التأثير السوقي كان همها على الإطلاق هو نجاح في تنفيذ عملية هدم الأسوار تلك العملية التي نفذت في تموز 2013 واستهدفت سجني أبي غريب والتاجي والتي نجم منها هروب أكثر من إلف سجين يشكل قادة داعش من الخطين الأول والثاني منهم موالي 10% في حين كان عدد المحكومين بالإعدام منهم جميعهم على قضايا إرهابية استهدفت المدنيين والقوات المسلحة العراقية قرابة 300 إرهابي تسعى هذه العمليات التي قادها وخطط لها وإشرف على تنفيذها المجلس العسكري لداعش والذي كان يتراسه حينها (حجي بكر) جرى إشراك أكثر من إلف عنصر من داعش وثلاثمائة عجلة من مختلف الأنواع ورغم هذا الحجم الهائل من الإعداد والعجلات إلا إن

(21) يلعب مجلس الدفاع والامن والاستخبارات دورا مهما في المحافظة على سلامة أراضي دولة الخلافة ويشرف هذا المحلي على قوات الشرطة التي تسير (دورات مدنية ودينية) ولها هيئات تنفيذ القانون كما يشرف على عمليات جمع المعلومات والاستخبارات على امن الخلفية وعلى الحواجز ونقات التفتيش الحدودية والقادة الثلاثة الرئيسيين من هذا المجلس كانوا ضباطا في الجيش العراقي كما بينا أعلاه عقيد – عبد الباري عطوان – الدولة الإسلامية الجذور – التوحش- المستقبل مصدر سابق ص25

القوات الأمنية لم تستطع منع العمليات بل حققت داعش تلك الليلة اكبر نجاحاتها في كل تاريخها الدموي ولم تكن تلك العملية وحدها من المؤشرات على تردي الحالة الأمنية وتصاعد حدة الإرهاب بل أن الفشل الذريع الذي منيت علمية الشهيد محمد لتطهير مناطق غرب الفرات والتي قادها في ذلك الوقت (عبود كنبر وبرفقته علي غيدان) أدت إلى استنزاف كل احتياط القوات المساحة العراقية حيث جرى تدمير أكثر من أربعة فرق عسكرية معدات اضطرت القطعات بدل إن تقوم بواجب تطهير غرب الفرات من العودة لتطهير الرمادي والمدن المجاورة لها والتي سقطت بالكامل بيد داعش.

أن أهم ما يميز هذه المرحلة ما يلي: -

1.فقدان المبادرة من قبل القوات الأمنية وامتلاكها من قبل داعش.

2.تمدد غير مسبوق لداعش في مناطق غرب الفرات.

3.بدء داعش بحرب كأحد الوسائل للسيطرة على المناطق.

4.ضعف كبير في القدرات القتالية على مستوى العملياتي السلوكي.

5.فشل ذريع لمنظومة الاستخبارات من التنبؤ بما يجري التخطيط له من قبل داعش.

6.فقدان مناطق جنوب بغداد والعودة للتهديد من قبل داعش بمناطق جديدة (مثلثات الموت) كالتي كانت موجودة قبل عام 2007 قبل انطلاق خطة فرض القانون.

7. تصاعد ظاهرة هروب في صفوف الوحدات العسكرية حتى وصلت في بعض الوحدات إلى أكثر من 60%.

8.استغلال الجانب الكردي للحالة الأمنية القائمة ومنع تواجد قوات الحكومة المركزية كما حصل عند الإعلان عن تشكيل قيادة عمليات دجلة.

9. عودة ظاهرة التهجير من الكثير من المناطق وخاصة ديالى وجنوب بغداد وشمالها وسطها .

10امتلاك داعش المنظومات أكثر تطوراً سواء من الأسلحة

أوالمعدات.

11. تصاعد الإرهاب الإعلامي بطابع تحشيد الجماهير من خلال مساحات (ما أطلق عليها العزة والكرامة والرفض)

المرحلة الرابعة – التمدد.. والانحسار (حزيران 2014- صيف 2016)

في البدء لابد من تحلل دقيق لطبيعة تنظيم داعش حيث إن هذا التنظيم وحسب ما يقول المنظر الأمريكي (جوزيف ناي) هو كيان ثلاثي الإبعاد فهو مجموعة إرهابية عابرة للحدود الوطنية وشبة دولة وايدلوجية سياسية ذات جذور دينية فقد انبثق من تنظيم القاعدة بعد الغزو (المضلل) الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية على العراق على حد قوله ، وهو يشمل الإسلاميين السنة التطرفين كما يرى (ناي)، هجماته ليس ضد (الكفار) فحسب بل أيضا ضد الشيعة (المتصوفة) الذين يكفرهم ولا يعتبرهم مسلمين موحدي معا ، كانت العوامل الداخلية والخارجية التي ولدت داعش فضلا عن حالة العداء الأعمى للحداثة واختزالها بصناعة المتفجرات والعالم الافتراضي(وسائل التواصل الاجتماعي) ودور المال هي رد الفعل الابتدائي المشترك من التكفير العراقي ونظيره الاتي من بلدان النفط والغاز (السعودية . ودول الخليج الأخرى كما أن حالة الخصام التي خلفها النظام السعودي فهي ليبرالية السوق والاستعصاء السياسي الثقافي والتلوث الوهابي سمحت للظاهرة بالعودة من جديد.[22]

هذه المرحلة ابتدأت مع مساء يوم 6 حزيران 2014 عندما بدأت داعش بدفع مجاميع لاحتلال الموصل تلك العملية التي سبقها عملية تمويه تمثلت في مهاجمة مدينة سامراء وانتهت هذه المرحلة ببدء عمليات تحرير الموصل التي أعلن عنها رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة (حيدر العبادي) في 17 ت 1 2016 وهي من أصعب المراحل في محاربة داعش فقد شهدت أقصى توسع لداعش حيث استطاعت السيطرة على أكثر من 40% من الأراضي العراقية وشهدت لاحقا انحسار موجة تمدد داعش وصولا إلى فقدان اغلب

(22) د. ياسر عبد الحسين ...أوراق بحثية.. داعش. العراق والعقدة الاستراتيجية المستعصية ت 1 2016 المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق ص 92

المناطق التي سيطر عليها سابقا. لم تكن داعش تأمل في هذه المرحلة تحقيق كل هذه النجاحات بل كانت أكثر ما تبتغيه هو السيطرة لساعات معدودة أو لأيام على أجزاء من الموصل والانسحاب منها لاحقا إلا أن سوء القيادة العسكرية التي كان يترأسها (عبود كنبر) وفشله الذريع في التعامل مع الوقائع الأمنية على الأرض رافق ذلك وخاصة في بداية هذه المهمة تصعيداً اقليمياً غير مسبوق ضد الحكومة المركزية في بغداد إضافة تصاعد حدة الخلافات بعد إعلان نتائج الانتخابات وعودة (المالكي) مجددا كرئيس الوزراء.[23]

بروز الحشد الشعبي كقوة جديدة على الساحة أحدثت انقلاباً في موازين القوى لصالح الحكومة المركزية

إن أهم خصائص هذه المرحلة هي:

1. التمدد الواسع النطاق لداعش وتمكنها من احتلال الموصل وسهل نينوى بالكامل فضلاً عن سهل محافظة الانبار وجنوب بغداد والحويجة ومناطق كبيرة من شمال بغداد وكامل محافظة صلاح الدين عدا سامراء.
2. وصول المعنويات وإرادة القتال في بدء هذه المرحلة إلى أدنى مستوياتها إلا أن الشهور اللاحقة شهدت تحسناً في أداء القوات المسلحة.
3. بروز الحشد الشعبي كقوة جديدة على الساحة أحدثت انقلاباً في موازين القوى لصالح الحكومة المركزية.
4. داعش في هذه المرحلة حاولت ان توسع ميدانا ليس بالأراضي العراقية بل حاولت جاهدة ان تتواجد في كل بقعة تجد فيها مؤيدين لفكرها التكفيري.
5. رافقت هذه المرحلة تصعيد في العمليات الإرهابية داخل المدن كان أكثر دموية تلك التي حصلت في تفجير الكرادة الذي أدى إلى استشهاد أكثر من 400 مواطناً عراقي عشية عيد الفطر لعام 2016 وتكرار ذلك عشية عيد الأضحى ولكن بنسبة خسائر اقل.
6. بدأت موجة تمدد داعش بالانحسار وبعد أن بدأت عمليات التطهير التي كانت أولها جرف الصخر وآمرلي ومناطق ديالى وتكريت وبيجي وصولا إلى الشرقاط والقيارة.

وفي كل الأحوال فان الحالة العراقية اضهرت جيلا جديدا من

(23) يرى اخـرون ان المراحل على ان تقسم الى ما يلي
أ- جماعة التوحيد والجهاد (الزرقاوي) 1999 – 2004
ب- تنظيم القاعدة فـي بلاد الرافدين (الـزرقـاوي) (2004 – 2006)
ج- مجلس شورى المجاهدين (الزرقاوي – أبو عمر البغدادي) 2006
د- الدولة الإسلامية في العراق (القاعدة) (أبو عمر البغدادي – أبو بكر البغدادي)
هـ- الدولة الإسلامية في العراق والشام 2013 – 2014 أبو بكر البغدادي
و- دولة الخلافة أبو بكر البغدادي (داعش) 2014 وحتى الان
المصدر د. ياسر عبد الحسين الحرب العالمية الثالثة مصدر سابق ص176

التطرف غير معروف للأجهزة الأمنية، يحملون أيدلوجية عنيفة ويتصفون بمهارات قتالية عالية وتكتيكات قاتلة أهمها العمليات الانتحارية الإرهابية التي استخدمها التنظيم في العراق مبكرا وما اطلق عليه من الانغماسين وهم مقاتلين من طراز خاص لا عوده لهم من المواجهة الا بالنصر او تفجير انفسهم في حالة فشل ذلك، كذلك في قدرة العناصر الإرهابية على تهريب الأسلحة من دول الجوار وإيجاد متعاونين من تلك الدولة ولكن القاعدة ما قبل داعش شكل والقاعدة ما بعد داعش شكل اخر وخصوصا في مجال استثمار الحواضن وظروف المنطقة الإقليمية ودخول العامل السياسي والعقائدي بشكل لم يكن متصورا من قبل [24]

الحالة العراقية اضهرت جيلا جديدا من التطرف غير معروف للأجهزة الأمنية، يحملون أيدلوجية عنيفة ويتصفون بمهارات قتالية عالية

(24) د. ياسر عبد الحسين... الحرب العالمية الثالثة – داعش والعراق وإدارة التوحش , شركة المطبوعات للنشر , بيروت , ط1 , 2015 ص317

المرحلة الخامسة : التطهير والتحرير والاستقرار (2016 – 2022)

تطلبت مرحلة ما بعد عمليات التحرير الكبرى شكلاً اخراً من اشكال السياسات الأمنية فهنالك محافظات خارجة لتوها من اتون معارك ضارية وهنالك نسبة تدمير وخراب قد تصل الى اكثر من 80 بالمائة في الكثير من تلك المناطق ، فضلا عن ان الحالة الاجتماعية قد افرزت اشكالاً جديدة من العلاقات لم تكن سائدة في السابق حيث تسيد الرفض الاجتماعي للعناصر التي سبق لها ان ساندت داعش في ذات الوقت الذي يجري فيه العمل من اجل خلق بيئة مناسبة للاندماج الاجتماعي لتلك المجتمعات ناهيك عما حملته معسكرات الايواء واللاجئين والنازحين من معاناة كبيرة تحملت القوات الأمنية الوزر الأكبر منها.

الانغماسين وهم مقاتلين من طراز خاص لا عوده لهم من المواجهة الا بالنصر او تفجير انفسهم في حالة فشل ذلك

بالمقابل فقد افرزت هذه المرحلة ظهور الحشد الشعبي كقوة لا يمكن الاستغناء عنها في الوقت ذاته عملت جهات أخرى على صناعة حشد من نوع اخر اطلق عليه الحشد العشائري ذو الطبيعة المناطقية ، فضلا عما كان متواجدا في الساحة كأرقام دون فعل

قتالي ملموس والمتمثل بحشد الدفاع ، الجهات الإقليمية هي الاخرى لعبت على ذات الوتر لذلك نجد ان تركيا تحاول ان تخلق لها قاعدة مسلحة داخل كركوك واطراف الموصل ودهوك من خلال دعم مجاميع مسلحة تحت عناوين حماية المناطق ، خلاصة القول ان هذه المرحلة رغم بحبوة الاستقرار الأمني الحاصلة الا أنها لم تصل الى حد تحقيق الامن المجتمعي المنشود .

المبحث الثالث

التحديات التي تعتري تنفيذ السياسات الأمنية والعسكرية واثرها على الامن المجتمعي وسبل المعالجة

شكل صيف عام 2014 منعطفا جذريا في الواقع الأمني العراقي بشكل عام حيث حمل منتصف العام رياح الانقلاب الجذري للثوابت القلقة التي كانت سائدة حينها لتتأرجح بنية الدولة العراقية برمتها، خاصة وان داعش حينها لم تكتف باحتلال الموصل وما حولها بل مددت سرطاناتها لتشمل قرابة الأربعين بالمئة من الأراضي العراقية، ولتتداعى كل اركان الامن الوطني العراقي بضمنه الامن المجتمعي الذي كان الأكثر تضررا مما حصل، يضاف الى ذلك ان اختيار داعش للموصل كمحطة انطلاق لم يأت اعتباطا بل انها جاءت بعد دراسة متأنية للواقع الديمغرافي للمدنية وما يتبعها حيث التنوع الديني والطائفي والعرقي والقومي وهذا الامر أسهم والى حد كبير في ازدياد الضغوط باتجاه زعزعة الامن المجتمعي في تلك المناطق بشكل خاص وفي عموم العراق بشكل عام .

عوامل تراجع ونكوص الامن المجتمعي بعد عام 2014

لا يمكن اغفال ما للعوامل السياسية والاقتصادية من تأثيرات مباشرة على مكونات وركائز الامن الوطني حيث غالبا ما تتسبب حالة اللاستقرار السياسي و التراجع الحاد في الوضع الاقتصادي الى ما يمكن ان نسميه نكوص البيئة الأمنية وتراجعها وترديها وكما هو معروف فان البعد الاجتماعي للأمن او الامن المجتمعي بتعبير ادق يختص بالإنسان وامنه لذلك فهو يمتلك خصائص متعددة ومختلفة

تتمثل في تحديد درجة الاستقرار الاجتماعي وتماسك النسيج الداخلي وتكامل واندماج مقوماته ومكوناته [25]، لذلك نجد ان أي تراجع او نكوص في تلك الثوابت سيودي بلا شك الى تراجع على مختلف المستويات وهنا تتحكم جملة من العوامل في الدفع باتجاه التراجع وهذا ما حصل على وجه التحديد في صيف عام 2014 .

ان جملة من العوامل مجتمعة هي التي دفعت الى تراجع مستوى الأداء الأمني بمختلف مكوناته ومنها الامن المجتمعي ومن هذه العوامل ما يلي :[26]

أولا. تراجع أداء المؤسسة العسكرية والأمنية

ثانيا . إشكالية تقاطع الارادات السياسية

ثالثا . حالة اللا استقرار السياسي

رابعا . العامل الإقليمي المحفز للتصعيد

خامسا. المناخ الدولي المساعد

تأثير احتلال الموصل على تصاعد وتيرة التطرف العنيف والإرهاب

أدت عمليات داعش القتالية الى حصول خلل كبير في البنية التنظيمية للقوات المسلحة العراقية حيث فقدت الغالبية العظمى من القوات القدرة على المجابهة الميدانية لفلول داعش التي لم تكن تتجاوز بكل حال من الأحوال واحد الى عشرة من مجموع القوات العراقية المكلفة بواجب تامين القاعدة الأمنية لتلك المناطق والمدن، وقد يعاب على الحكومات المتعاقبة قبل عام 2014 انها لم تستطع انتاج جيش مهني محترف وقوي كما انها اهملت الجوانب المتعلقة بالتدريب ورفع القدرات القتالية يضاف الى ذلك ما هو اكثر خطورة وتأثير والمتمثل بالفساد الإداري الذي نخر جسد الدولة العراقية ونالت المؤسسة الأمنية منه ما نالت، كل تلك العوامل القت بضلالها بشكل او باخر على الحالة القائمة التي أدت لاحقا الى ما ينذر بالكارثة حينما سقطت الموصل وصلاح الدين تبعتها الانبار وجزء كبير من ديالى فضلا عن أجزاء أخرى من كركوك بضمنها الحويجة واقتراب داعش من حافات بغداد واربيل .[27]

(25) د فاخر حمود كاظم , الامن والتكامل الوطني – إشارة خاصة للحالة العراقية , ط1, بغدادا , مركز العراق للدراسات , 2019 , ص 59.

(26) كرار أنور البديري , سقوط الموصل – العراق ومحصلة الأعباء الداخلية والخارجية , ط1, بغداد, دار دجلة للنشر , 2016 , ص 43

(27) المصدر نفسه , ص 37

فاقمت سيطرة تنظيم داعش والتنظيمات الإرهابية الأخرى التي تحالفت معه فضلا عن أولئك الذين مهدوا الطريق للعناصر الإرهابية لتندفع بقوة في تلك المناطق ممن اطلقوا على انفسهم بثوار العشائر في ما اطلق عليه حينها المدن المنتفضة في تفشي الفكر المتطرف المصحوب بالعنف المتصاعد غير المسبوق في الغالبية العظمى للمدن والأراضي التي تمددت بها تلك التنظيمات في حين وصل الإرهاب بمختلف أوجهه الى اعلى درجات الدموية صاحب كل ذلك موجة غير مسبوقة من التهجير المبرمج والنزوح الطائفي مما ولد حالة لم تكن مألوفة مسبقا هي خلو الغالبية العظمى من تلك المناطق من ساكنيها، اما من لم تتح لهم الفرصة للمغادرة و النزوح فقد كان السيف والقتل بأنواعه وطرقه المختلفة الأقرب الى رقابهم ، ورغم تحمل الطائفة الايزيدية الوزر الأكبر من تصاعد التطرف العنيف الا ان الشيعة والمسيحيين بمختلف اطيافهم فضلا عن الشبك وجزء كبير من السنة كانوا هم ضحية ذلك العنف المتصاعد الى اقصى حدوده وبوسائل وأساليب غير مألوفة. [28]

من الاثار المترتبة على سقوط الموصل والتداعيات التي حصلت لاحقا هو ما جرى تشخيصه اجتماعيا حيث زادت والى حد كبير ونمت وبشكل متصاعد سلوكيات متطرفة وعنيفة أدت الى خلق جيل جديد وعلى ووجه التحديد من الصبية والمراهقين ميالين بشكل ملفت للنظر الى العنف المتطرف والمبرمج مسحورين ومنجذبين الى ما تفعله داعش من التفنن بأساليب القتل واشاعة الرعب والخوف، يضاف الى ذلك ما خلفته المناهج الدراسية الداعشية من اثر مباشر على تفاقم هذه الظاهرة في المناطق التي فرضت سيطرتها عليها والتي كانت تهدف بالدرجة الأساس الى تهديم قواعد ومرتكزات الامن المجتمعي والحث على الكراهية والتطرف .[29]

التأثيرات المبشرة وغير المباشرة لتمدد داعش على الامن المجتمعي

من البديهيات المتعارف عليها اجتماعيا وسياسيا ان الهدف الاسمى من الامن المجتمعي هو تحقيق التعايش السلمي ، وان

(28) مجلس الامــن الوطني, استراتيجية مكافحة التطرف العنيف المؤدي الى الإرهاب , ط1 , بغداد , مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية , 2019 ص 21

(29) مجلس الامــن الوطني , استراتيجية مكافحة التطرف العنيف , مصدر سابق ص21

الأخير ينفي وبشكل قاطع مبدا التدافع والصراع وإلغاء الاخر في الحركة الاجتماعية او في طبيعة العلائق السائدة في المجتمع ، اذ يعني ضمن ما يعنيه وبشكل محدد استبدال الأساليب المنافية للطبيعة ألإنسانية بأساليب ذات سمات سلمية تقوم على الحجة والبرهان وتحكيم الراي بتقنيات التدافع وأساليب الصراع ، بدلا من تقنيات وأساليب العنف والقمع لكي تبقى المحددات ذات الطابع الاجتماعي هي البوصلة للمحافظة على منهجية هذا التوجه على ان يكون للمواطنة والولاء للوطن والمجتمع قصب السبق في كل ذلك وان يبقى التعايش السلمي والياته المختلفة احد مقاصد او اهداف الامن المجتمعي.[30]

من خلال قراءة متأنية للتأثيرات التي احدثها تمدد داعش على الامن الاجتماعي لابد من العودة الى الصورة القاتمة التي خلفها هذا الحدث حيث شهدت الغالبية العظمى من المناطق التي لامسها او احتلها داعش ما يمكن ان يطلق عليه (ضبابية الحدث) حيث بدأت الاحداث بالتصاعد بشكل ملفت للنظر لتخلف وراءها كما هائلا من التأثيرات سواء بجانبها المباشر او غير المباشر، وهنا نجد ان اكثر التأثيرات المباشرة حضورا هي :

أولا. استمرار وتصاعد القتل دون مبرر او محاكمة

ثانيا. التهجير القسري

ثالثا. تعطيل الحياة العامة .

رابعا. بروز ظواهر غير مألوفة منها السبي للنساء و جهاد النكاح والاستغلال الجنسي للمرأة

خامسا . الدفع باتجاه إيجاد ما يمكن ان يطلق عليه النسخة المتشددة من الفكر الإسلامي وفق قراءات منحرفة تحرض على القتل والعنف[31]

سادسا. انهيار عام في منظومة الامن الاجتماعي وتراجع في قدرات المواطن لحماية ممتلكاته

اما بالنسبة للتأثيرات غير مباشرة لتمدد داعـش على الامن

(30) د فـراس عباس هاشم , الامن المجتمعي والامننة , الامن الصحي كأحد مهددات الامن القومي والمجتمعي العالمي , المعهد العربي الديمقراطي , برلين , ط1 , 2021, ص 404

(31) دنون بن متي الموصلي , الموصل بين احتلالين 2003 – 2014 – مذكرات مواطن عراقي, دار سطور , ط1, بغداد , 2016, ص 155

المجتمعي فيمكن اجمالها بما يلي

أولا . بروز ظاهرة النفور الطائفي وخلق نوع من الصراعات حتى في المناطق التي لم يصلها داعش .

ثانيا . ضياع الفرص في التعلم والمعرفة لأعداد تصل الى المليون من الطلبة وبمختلف المراحل الدراسية مما دفعهم باتجاه الانضمام الى تشكيلات داعش الإرهابية وممارستهم القتل على أبناء جلدتهم .

كانت المرأة الأكثر تعرضا للتطرف العنيف كنتيجة غير مباشرة لتمدد داعش حيث جرى استغلالها واجبارها على ممارسات بعيدة كل البعد عن فسلجتها الجسمانية

ثالثا . تحول المنصات الدينية الى وسائل لإشاعة الرعب بين الناس والزام الجميع بحضور الخطب والمناسبات التي تتميز بالدموية والقتل مما خلق نوعاً من التقبل لهذه الممارسات من قبل الكثيرين ضمن تلك المناطق .

رابعا . كانت المرأة الأكثر تعرضا للتطرف العنيف كنتيجة غير مباشرة لتمدد داعش حيث جرى استغلالها واجبارها على ممارسات بعيدة كل البعد عن فسلجتها الجسمانية ومنها العمل كمقاتلة او القيام بعمليات انتحارية وغيرها [32]

(32) نور حامد المالكي , المراءة والتنظيمات الإرهابية – دراسة أنثروبولوجية , رسالة ماجستير غير منشورة , الجامعة المستنصرية , كلية الأداء, قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجي , غ م , 2021 , ص 122

خامسا . ولدت عملية التهجير القسري والنزوح واللجوء الى معسكرات المهجرين الكثير من الاضطرابات النفسية والامراض الاجتماعية وتفاقم الجريمة المنظمة والفساد الأخلاقي وتعاطي المخدرات مما ولد أنواعاً جديدة من التهديدات للأمن المجتمعي .

عملت داعش على ترسيخ المفاهيم المتطرفة للعنف في اذهان الصبيان والشباب مما خلق جيلا لديه الايمان بطروحاتها واعتماده التطرف العنيف كإساس

سادسا . عملت داعش على ترسيخ المفاهيم المتطرفة للعنف في اذهان الصبيان والشباب مما خلق جيلا لديه الايمان بطروحاتها واعتماده التطرف العنيف كإساس .

أساليب مكافحة التطرف العنيف لمرحلة ما بعد التحرير

بنيت استراتيجية مكافحة التطرف العنيف في العراق على تحقيق الأهداف التالية التي يمكن اعتمادها كأساليب لمكافحة التطرف :[33]

(33) مجلس الامـن الوطني، استراتيجية مكافحة التطرف العنيف , مصدر سبق ذكره , ص 25

أولا . التنمية البيئية المشجعة على الوسطية والاعتدال

ثانيا . استعادة الطاقات الشبابية وتوظيفها بالاتجاهات البعيدة عن العنف والتطرف .

ثالثا . ترسيخ الروح الوطنية .

رابعا . ترسيخ ثوابت التعايش السلمي المجتمعي .

خامسا . توحيد الخطاب الإعلامي خاصة عند حصول الازمات .

سادسا . ووضع اليات رقابية متخصصة بضمان حماية الحريات العامة وحقوق الانسان ومكافحة التطرف.

سابعا. تدعيم الجهد الأمني بتنسيق وشراكة مع المؤسسات الدينية المعتدلة منعا لإصدار الفتوى التكفيرية.

سابعا. منح المؤسسات الإصلاحية امكانيات أوسع في مجال تأهيل المحكومين ممن يحملون الفكر المتطرف .

ثامنا . تحقيق العدالة الجنائية وسيادة القانون والنظام مشفوعة بسياسة امنية مرنة وصارمة في ذات الوقت.

النظرة المستقبلية للأمن المجتمعي العراقي

لا بد من التأكيد على جانب حيوي مهم الا وهو ان الامن المجتمعي والتعايش السلمي ليس موضوعاً تنظيرياً تطرح فيه الأفكار بصيغها المتفائلة وتجري مناقشتها في أورقة الجلسات التي تظم النخب للتوصل الى صلاحيات او توصيات تركن على الرفوف او في مجارير المكاتب، بل ان كل ذلك لا يجدي نفعاً ان لم يحاكي نبض الشارع، فالمواطن العراقي وبمختلف فئاته وتوجهاته يبتغي بالدرجة الأساس إشاعة الامن وخاصة في جانبه الاجتماعي ومرافقا للتعايش السلمي فقد اضنته السنوات العجاف التي فقد فيها الامن والأمان ولا يمكن لذلك ان يتحقق محاضرة هنا ودراسة هنالك ان لم تأخذ الأفكار المطروحة فيها مجالها التطبيقي والعلمي لذلك نجد ان الامن المجتمعي ليس مجرد فرضيات تطرح بل جملة من الأفعال الديناميكية التي لها مساس بالدرجة الأساس بالطبيعة الاجتماعية للمجتمع العراقي.

ان مخاض السنوات الماضية خاصة ما حصل بعد تمدد داعش عام 2014 وما نجم عنه من تراجع كبير في مستويات الأداء الأمني والذي اثر بشكل مباشر على الاواصر الاجتماعية لبناء مكونات التعايش السلمي ولو بنسب متفاوتة قد أدى حتماً الى نكوص في عموم المسارات التي تتحكم في البناء المجتمعي لذلك فان إعادة هذا البناء بين

المكونات الديمغرافية للشعب العراقي يحتاج الى خطط فاعلة أكثر بكثير من حاجته الى الجانب التنظيري غير المجدي بالوقت الحاضر، يضاف الى ذلك ان انخفاض مستوى وتراجع الامن المجتمعي و التعايش السلمي لم يكن وليد السنوات التي تلت سقوط النظام او سقوط الموصل بل انها ناجمة من تراكمات خلقتها طبيعة الأنظمة الحاكمة وشكل العلاقات السائدة بين مكونات المجتمع والتمايز الذي منح فئة أو طائفة او عرق دون اخرى مميزات جعلها تشعر بانها ترتقي فوق الحاجة الى الامن المجتمعي كونها تملك أدوات التسلط على مقدرات الشعب.

ان بناء منظومة امنية ذات قيم مجتمعية تستند بالأسس في عملها الى إرساء قواعد التعايش السلمي خاصة في المناطق التي شهدت نفوراً اثنيا عرقياً وطائفياً مصحوباً في كثير من الأحيان بعنف متصاعد وصل الى حد القطعية ورفض الاخر تحتاج بالدرجة الأساس الى خطط بمراحل متعددة أي ان الخطة الواجب تطبيقها يجب ان تراعي درجات النفور والقطيعة القائمة وصولاً الى مرحلة تقبل الاخر، وذلك ليس بالأمر الهين بل يحتاج الى امرين اساسين لا يمكن التخلي عنهما وهما:

بناء منظومة امنية ذات قيم مجتمعية تستند بالأسس في عملها الى إرساء قواعد التعايش السلمي خاصة في المناطق التي شهدت نفوراً اثنيا عرقياً وطائفياً

أولا . الوقت أي ان مثل هذه الخطط يجب ان يتاح لها الوقت الكافي للتنفيذ.

ثانيا . مرونة الخطط أي ان لا تكون مقيدة بمحددات وضوابط من الصعب تجاوزها عند ما تقتضي الضرورة اجراء متغيرات عند التنفيذ.

ثالثا . اعتبار الامن الوطني كل لا يتجزأ فالاهتمام بكل مكون منه وبالأخص الامن المجتمعي يجب ان يرتقي الى مستويات التهديد والتحديات المستقبلية .

الخاتمة

شكلت الحركات الإرهابية بمختلف مسمياتها فضلا عن الحركات

الهدامة التي أقيمت على أساس عقائدي ذو مساس بطبيعة العقائد السائدة في المجتمع العراقي الهاجس الأكبر للقائمين على التخطط للسياسات الأمنية والعسكرية كونها تتسم بسمات من الصعب تحديد تأثيراتها مسبقا كما انها غالبا ما تجد لها متسعاً مكانيا وزمانيا للتحرك وسط الناس مما يصعب والى حد كبير على القائمين على رسم السياسات الأمنية اقتفاء اثرها او الحد منها او معرفة نواياها المسبقة ، وقد تنوعت هذه الحركات رغم ان داعش قد تسيدت عليها خلال النصف الثاني من العقد الماضي في الوقت لذي اتخذت الحركات العقائدية الهدامة أشكالاً مختلفة بين المواجهة المسلحة واطروحات الفكرية الهدامة والمثيرة للقلق والمزعزعة للاستقرار .

المراحل الخمسة التي تميزت بها الحركات الإرهابية وأساليب المعالجة الأمنية والادوار والمهام التي انيطت للقطعات قد حققت النجاحات هنا وهناك الا انها وفي كل الأحوال ستبقى نجاحات مبتورة ان لم تتم معالجة التطرف الفكري المؤدي الى نمو وتوسع هذه الحركات ومن هنا فان أي سياسة امنية لابد ان تقترن بسياسات مكملة اقتصادية واجتماعية وفكرية وثقافية .

المصادر والمراجع

1. محمد مظلوم ، الطائفة والنخبة الطائفية ، منشورات الجمل ط1 2016 .
2. نظيرة شامي . الاعلام الفضائي والإرهابي، دار أسامة –عمان الأردن – ط1 2015 .
3. علي عبد الأمير علاوي ، احتلال العراق.. ربح الحرب وخسارة السلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2009
4. حسن سلمان خليفة البيضاني، حرب مكافحة الارهاب تجربة ميدانية، دار الحكمة ، لندن، ط1، 2012.
5. ضرغام صادق، نشوء الجماعات المتطرفة في العراق بعد عام 2003 واثرها على الامن القومي، رسالة ماجستير في كلية الدفاع الوطني للدراسات العسكرية، 2018،.
6. حسن البيضاني، سيرة الدم ، الدار العلمية للطباعة والنشر ، بغداد، ط1 ، 2021.
7. حسين جاسم الخزعلي، داعش والامن الوطني، دار الحكمة، لندن، ط1، 2015.
8. رشيد الخيون، 100 مئة عام من الاسلام السياسي في العراق، ج2، مركز مسيار، الامارات العربية، ط1، 2012.
9. مجموعة باحثين، موسوعة التطرف، دار الرافدين للطباعة ، بيروت ، ط1، 2016 .
10. جون اربرادلي، ما بعد الربيع العربي مصير التنظيمات الإرهابية، الدار العربية

للعلوم ناشرون، 2018.
11. أريك روبنسون، عندما تصل الدولة الإسلامية الى المدينة التأثير الاقتصادي لحكومة الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، مقال منشور على موقع: www.rand.org
12. حسن سلمان خليفة البيضاني، الموصل بين الاحتلال والتحرير، مكتبة دار الحكمة ، لندن ، ط1، 2022.
13. د. ياسر عبد الحسين ...أوراق بحثية.. داعش. العراق والعقدة الاستراتيجية المستعصية ت 1 2016 المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق.
14. د ياسر عبد الحسين ، الحرب العالمية الثالثة ، داعش والعراق واداة التوحش ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ط1، 2015
15. د فاخر حمود كاظم ، الامن والتكامل الوطني – إشارة خاصة للحالة العراقية ، ط1، بغداد ، مركز العراق للدراسات .
16. كرار أنور البديري ، سقوط الموصل – العراق ومحصلة الأعباء الداخلية والخارجية ، ط1 ، بغداد ، دار دجلة للنشر ، 2016.
17. مجلس الامن الوطني ، استراتيجية مكافحة التطرف العنيف المؤدي الى الإرهاب، ط1 ، بغداد ، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية ، 2019 .
18. د فراس عباس هاشم ، الامن المجتمعي والامننة ، الامن الصحي كأحد مهددات الامن القومي والمجتمعي العالمي ، المعهد العربي الديمقراطي ، برلين ، ط1 ، 2021، .
19. دنون بن متي الموصلي ، الموصل بين احتلالين 2003 – 2014 – مذكرات مواطن عراقي ، دار سطور ، ط1، بغداد ، 2016.
20. نور حامد المالكي، المراءة والتنظيمات الإرهابية – دراسة أنثروبولوجية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية الأداب ، قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجي، غ م ، 2021 .
21. زهير كاظم عبود، حركة جند السماء، دار شمس للطباعة، القاهرة ، ط1 ، 2015